

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

يتنعمون بلقائنها والإصغاء إلى كلامها. وكان العديد من المستنيرين حديثاً يحضرون إلى بيتها للتبرك بلقياها.

خلال اضطهاد الملك هيروُدس للكنيسة العام ٤٣، وقعت القرعة على الرسول يوحنا الإنجيلي لتبشير آسيا الصغرى فانتقل إلى مدينة أنفس مصطحباً معه السيدة الكليّة القداسة. وقد مرّت بجزيرة قبرص، حيث

كان لعازر الرباعيّ الأيام يبشّر، ومنها عبرت إلى أماكن أخرى قدستها وباركتها.

أما خبر رقاد السيدة الشريف

فقد تناقلته الكنيسة عن تقليد الرسل، عبر الأناجيل الأبوكريفية (المنحولة) وكتاب الكنيسة وآبائها، مثل القديسين زيونيسيوس الأريوباغي، ميليتون أسقف سارديس، إبيفانيوس القبرصي، إيوفيناليوس البطريرك الأورشليمي، وسواهم...

ساعة رقادها كانت السيدة في أورشليم. كانت تزور قبر ابنها وتقضي أيامها ولياليها في الصلاة. في إحدى زياراتها للجلجلة، ظهر لها جبرائيل رئيس الملائكة وأعلن لها دنو أوان انتقالها من هذه الحياة الوقتية إلى الحياة التي لا نهاية لها.

رقاد السيدة والدة الإله

«يا له من عجب مستغرب، إن ينبوع الحياة قد وُضعت في قبر، واللحد صار سلماً تعلي للعلاء».

عيد رقاد العذراء مريم هو آخر عيد كبير في السنة الطقسية. يمتاز عن سواه من الأعياد الوالدية، أي

أعياد السيدة العذراء، بفترة الصوم التحضيرية التي تسبقه والتي تدلّ على المكانة السامية والفريدة التي حظيت بها في مصف القديسين

من ولدت النور وحملت في أحشائها خلاص العالم.

يعلّمنا تقليد الكنيسة الشريف أن السيدة، من بعد صعود ابنها إلى السموات، لازمت الإنجيلي يوحنا، التلميذ الحبيب، وبقيت في عهده. وكانت تقيم في بيت أهله قرابة جبل الزيتون أثناء رحلاته التبشيرية وكان حضورها في أورشليم مصدر عزاء وتوطيد للكنيسة الأولى الناشئة.

إكرام الرسل تلاميذ المسيح لها كان كبيراً. فقد أقاموا في أورشليم من بعد حلول الروح القدس، وكانوا

الرسالة

(فيلبي ٢: ٥-١١)

يا إخوة ليكن فيكم الفكرُ الذي في المسيح يسوع أيضاً* الذي إذ هو في صورة الله لم يكن يعتدُّ مساواته لله اختلاساً* لكنه أخلى ذاته أخذاً صورة عبدٍ صائراً في شبه البشر وموجوداً كبشر في الهيئة* فوضع نفسه وصار يطيع حتى الموت موت الصليب* فلذلك رفعه الله ووهبه اسماً فوق كل اسم* لكي تجثو باسم يسوع كل رُكبة مما في السماوات وما على الأرض ومما تحت الأرض* ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح ربُّ لمجد الله الأب.

الإنجيل

(لو ١٠: ٣٨-٤٢، ١١)

(٢٧-٢٨)

في ذلك الزمان دخل يسوع قريةً فقبلته امرأةٌ اسمها مرتا في بيتها* وكانت لهذه أختٌ تُسمى مريم. فجلست هذه عند قدمي يسوع تسمع كلامه* وكانت مرتا مرتبكةً في خدمةٍ كثيرة. فوقفت وقالت يا ربُّ أما يعنك أن أختي قد تركتني أخدم وحدي فقل لها تساعدني* فأجاب يسوع وقال لها مرتا مرتا إنك مهتمةٌ ومضطربةٌ في أمور كثيرة وإنما الحاجةُ إلى واحدٍ. فاخترت مريم النصيبَ الصالح الذي لا يُنزع منها* وفيما هو يتكلم بهذا رفعت امرأةٌ من الجمع صوتها وقالت له طوبى للبطن الذي حملك والثديين اللذين رضعتهما* فقال بل طوبى للذين يسمعون كلمة الله ويحفظونها.

صَلَّتْ إلى الرب طالبة مجيء يوحنا تلميذه المحبوب قبل رقادها. فكان أن نقله الروح القدس، بحال تفوق الوصف، من أفسس إلى موضع إقامتها ليصلياً معاً. وبعد أن ختما صلاتهما حضر بنعمة الروح الإلهي محفل الرسل الأطهار، محمولين على السحب، واجتمع مصفاً الملائكة القديسين ليستقبلوا ملكة السماء. وكذلك حشود المؤمنين التأمّت من دون أن تعرف علة هذا اللقاء. فكان أن أعلن لهم الرسول يوحنا بدموع الحبور أن السيدة مزمنة أن تفارقهم.

ويعلمنا التقليد الشريف أن الرسول بولس أيضاً كان حاضراً مع تلاميذه القديسين ديونيسيوس الأريوباغي، وإيروثيوس، وتيموثاوس وسواهم من الرسل السبعين.

وقد نادى السيدة كل واحد من الرسل باسمه، وباركته، وثبته في عمل البشارة وجهاد نشر الإنجيل، كما صلت معهم من أجل الكنيسة ومن أجل سلام العالم وخلاصه.

عند الساعة الثالثة، أحاط الرسل بسرير السيدة مسبحين الله ورافعين الحمد إلى ابنها المخلص. فكان أن أضاء نور في المكان يفوق في لمعانه سطوع الشمس وفيه ظهر المسيح السيد محاطاً بملائكة مجده ورهط الأنبياء الذين سبقوا فأخبروا بعجب ولادة الرب يسوع من العذراء، فاستقبلته السيدة بفرح وأسلمته روحها بسلام عميق.

هكذا، من بعد حياة تسمو في نقاوتها وقداستها على كل ما في هذه الأرض، ومن بعد رقاد عجيب انتقلت السيدة إلى الأقدار السماوية تاركة جسدها ليتبرك به التلاميذ. وقد شفي سائر المرضى الذين

لامسوا سيرها من أسقامهم. حمل الرسل في موكب مهيب جسد السيدة الكلي الطهر، من صهيون، عبر أورشليم إلى الجسمانية. وكانت أصوات الملائكة تسمع ممتزجة بتسابيح المرتلين. وبعد أن دفنوه لازموا القبر ثلاثة أيام وليال.

أما توما الرسول، الذي بعناية من العلي لم يكن حاضراً وقت الدفن، فقد وصل بعد ثلاثة أيام وطلب أن يفتحوا له القبر ليودع جثمان السيدة، فكان له ما أراد. ولكن القبر وجد فارغاً فتأكد التلاميذ من صعود جسد السيدة إلى السموات.

في العشيّة ذاتها، حين اجتمع الرسل القديسون لتناول الطعام، ظهرت لهم السيدة وقالت لهم: «افرحوا أنا معكم كل أيام حياتكم».

وكان المسيحيون يكرمون قبر السيدة، فبنوا كنيسة في هذا الموضع حفظوا فيها ثوب الدفن الذي غطى جسد السيدة. وقد أكد القديس إيوفيناليوس الأورشليمي في القرن الخامس للإمبراطور ماركيان صحة ما يروى عن عجيبة ارتقاء السيدة بالجسد إلى السماء، وأرسل للإمبراطورة بوليخاريا ثوب السيدة المحفوظ في القبر، فأودعته الإمبراطورة في كنيسة فلاخيرنون في القسطنطينية.

تذكر المصادر التاريخية أن كنيسة كبرى شُيّدت في القرن السابع فوق قبر السيدة، وقد بُني في القرن التاسع قرابة المكان دير أقام فيه حوالي الثلاثين راهباً.

فبشفاعات السيدة الفائقة القداسة وجميع قديسيك، أيها الرب يسوع المسيح إلهنا ارحمنا وخلصنا. آمين.

تأمل

السماء استقبلت من ظهرت أسى من السموات، والقبر تقبل من جهته من كانت إناء الله! إذ ليست الضخامة الجسدية من جعلتها أوسع من السماء؛ فكيف لهذا الجسد أن يقاس بعرض السماء وطولها؟ ولكن لا، فلقد تجاوز بحسب النعمة قياس كل علو وكل عمق، لأن ما هو إلهي ليس له البتة ما يقارن به. أيتها الصرح المقدس الجدير بالإعجاب والشرف والإكرام، الآن أيضاً يصطف الملائكة حولك ها هنا وقد ملأتهم مشاعر الاحترام والمهابة، والشياطين ترتعد، والبشر يدنون بإيمان موقرين إياك ومكرمين، فيحيونك بنظراتهم وشفاهم وميول أنفسهم، ويأتون ليغترفوا فيضاً من الخيرات. أن يوضع عطر ثمين على ثياب أو في مكان ما ثم ينزع منها: فبقايا عرفه تبقى أيضاً، حتى ولو اختفى العطر! هكذا هذا الجسد الإلهي المقدس البريء من الدنس المشبع بالعرف الإلهي ومنهل النعمة الفياض، بوضعه في القبر ثم استعادته محمولاً إلى مكان أكثر امتيازاً وسمواً، لم يدع القبر من دون شرف، لكنه حمل إليه طيبه ونعمته، وجعل من هذا الصرح ينبوع الأشفية، وكل الخيرات لجميع الذين

الزواج بين العقد

والسر

أصبحت شركات السفريات والمصارف، في أيامنا هذه، تتبارى في تقديم منتج جديد نجد الدعايات والملصقات المتعلقة به تملأ الصحف والطرق. تتبارى شركات النقل الجوي في ما بينها لتقدم لزبونها أفضل عرض وأرخصه، بينما تسارع المصارف إلى تأمين القروض المناسبة كي لا يشتهي الزبون أي شيء لا يستطيع أن يحقق حلمه للحصول عليه. عم نتحدث؟ نتحدث هنا عن ظاهرة الزواج المدني الذي تروج له هذه الشركات والمصارف حتى أصبح الزواج سلعة تجارية الغاية منها ليس الجمع بين اثنين ليصيرا واحداً، إنما الكسب المادي وتغيب الفكر والمفهوم المسيحيين المتعلقين بسر الزواج المقدس.

في البدء خلق الله الإنسان ذكراً وأنثى مباركا إياهم وقائلاً لهم: «أثمروا وتكاثروا واملأوا الأرض وأخضعوها» (تك ١: ٢٨). الكتاب المقدس يشدد في كليته على موضوع بركة الله التي، عندما تمنح، يتبعها بكل تأكيد ثمر كثير مبارك.

لكن الله في المقابل خلق الإنسان حرّاً، وحرية الإنسان تجعله قادراً على عصيان الله نفسه، وبهذا يمكن لأي إنسان أن يقرر ما إذا كان يريد أن يحب الله ويسمع كلامه، أو أن يفعل العكس، وفي كلا الحالتين ثمة عاقبة للأفعال، وهذه العاقبة لا يقررها الله، إنما يقررها الإنسان عند اتخاذه القرار بالابتعاد عن الله أو التقرب من الله.

من ناحية الزواج، فالذين يأتون ليتزوجوا في الكنيسة هم بذلك يعلنون للجميع أنهم جزء من هذه الكنيسة - جسد المسيح، وهم يأتون لينالوا بركة كالتى حلت في عرس قانا الجليل، وهذه البركة يمنحها الرب للعروسين من خلال صلاة الجماعة المجتمعة حولهما من كهنة وعلمانيين الذين يشكلون أعضاء هذا الجسد. والكنيسة في صلاتها للعروسين تطلب أن ينالا «العفة وثمر البطن وحسن التوليد وعيشة لا عيب فيها وأن يفرحا بنظرهما بنيهما وبناتهما» (من طلبه صلاة الإكليل). كذلك نقرأ في صلوات خدمة الإكليل، والتي لا يسمعها كثيرون منا ولا يعيرونها أهمية إذ يكونون مهتمين أكثر بالمظاهر الخارجية والألبسة والزهور والتصوير، ما يلي: «أظهرهما كليهما بواسطة الاقتران عضواً واحداً ... ولهذا يترك الإنسان أباه وأمه ويلازم امرأته فيصيران كلاهما جسداً واحداً، ومن زوجهم الله لا يفرقهم إنسان... امنح عبدك حياة سلامية وأياماً مديدة وعفة ومحبة متبادلة مؤيدة برباط السلام ونسلاً طویل العمر ونعمة التوليد إكليل المجد الذي لا يذبل». كما أن العروسين ينالان في خدمة سر الزواج إكليلين يضاحيان أكابيل القداسة والشهادة، ويصبح كل واحد من الاثنين إكليلاً للآخر حيث: «يكلل عبد الله على أمة الله» فيكون كل منهما مشروع قداسة للآخر ومن خلال الآخر. ولا ننسى أن الاثنين الآتين إلى الكنيسة ليتزوجا يخرجان منها واحداً وثلاثة في آن، واحداً لأنهما يصبحان جسداً واحداً وثلاثة لأن من يجعلهما واحداً هو الله الذي يصبح العضو الثالث في

يدنون منه بإيمان.

نقف اليوم في حضرتك أيتها البتول والدة الإله، نعلق نفوسنا بالرجاء الذي هو أنت بالنسبة إلينا كأنما بمرساة راسخة لا تنكسر، ونكرس لك أرواحنا وأنفسنا وأجسادنا، كلُّ منا بكليته، نريد أن نكرمك «بمزامير وتسابيح وأناشيد روحية»، لأن مدحك بحسب كرامتك يتعدى قوانا. وإذا صحَّ بحسب الكلام المقدس، أن الإكرام المؤدى لك هو دليل حبّ تجاه السيد، فهكذا نشير بشكل أفضل إلى تعلقنا بمعلمنا الخاص. وماذا أقول؟ يكفي في الواقع لهؤلاء الذين يحفظون ذكرك بتقوى أن يمنحوا هبة ذكرك المتعذر تقديره، فيصبح فيهم أوج الفرح الخالد. وبأية بهجة لا يمتلئ وبأية خيرات، ذاك الذي جعل من فكره المقام الخفي لذكرك الجزيل القداسة؟

ها هي شهادة عرفاننا بالجميل، وبواكير خطبنا، ومحاولة فكرنا البائس الذي وقد أنعشه حبك، نسي ضعفه الخاص. ولكن، تقبلي بعناية رغبتنا المضطربة عالمة أنها تتجاوز قدراتنا. وانظري إلينا أيتها السيدة السامية وأم سيدنا الصالح، ودبري وقودي مصيرنا كما تشائين؛ هدئي تحركات أهوائنا المخزية، وأرشدي سبيلنا إلى ميناء المشيئة الإلهية الذي لا عواصف فيه.

القديس يوحنا الدمشقي

هذه العائلة أو الجسد الخارج حديثاً من رحم الكنيسة، إذاً يصبح الزوجان ثلاثة إذ يقترنان بعضهما ببعض وباللله في الوقت نفسه وهذا الأمر نلمسه في البركة الثالوثية الختامية التي ينالها العروسان في صلاة الإكليل: «الأب والابن والروح القدس، الثالوث الكلي قدسه، المتساوي الجوهر، مبدأ الحياة، ذو اللاهوت الواحد والمُلك الواحد، ليبارككما...»

من ناحية أخرى، يتهافت كثيرون إلى خارج الكنيسة، «ليوقعوا عقداً» ينالون من خلاله إذناً رسمياً إجتماعياً مدنياً يظهرهم متزوجين أمام الناس. للأسف غالباً ما ترفق هذه العقود بشروط خاصة متبادلة، الأمر الذي يمكن أياً من الطرفين من إلغاء هذا العقد. المشكلة في الأشخاص الذين يذهبون باتجاه هذا النوع من الزواج أنهم يذهبون وفكرة الطلاق في رؤوسهم بدلاً من فكرة الثبات والاستقرار، إضافة إلى أفكار أخرى منها فكرة أن تصبح العلاقات الجسدية «قانونية» أو فكرة قابلية تغيير الشريك إذا لم يكن هناك اتفاق. وقد يكون السبب الاختلاف الديني وغيره من أسباب تجعل من الزواج سلعة ومؤسسة قابلة للإنحلال تحت وطأة أي مشكلة مهما صغرت أو كبرت، من دون اللجوء إلى الحلول التي تحول دون انفكك الرابطة الزوجية.

لن نتوسّع في الكلام على الزواج المدني لأن الهدف هنا هو تسليط الضوء على تعاليم كنيستنا حول سرّ الزواج الذي لم يكن ولن يكون أبداً عقداً يسهل تمزيقه، إنما هو سرّ مقدس يدخل الله أكثر وأكثر في حياتنا مثل باقي الأسرار، لكننا

كبشر نبقي أحراراً كما خلقنا الله، يمكننا أن نبقي سائرين مع الله وحاصلين على البركات التي يغدقها علينا، أو أن نعصى الله وطريقه ونسير حسب أهوائنا، ولكن الأهم في النهاية ألا نضع اللوم على الله في أي سوء يحصل معنا إذا كنا قد رفضناه أصلاً، لأن لسوء استعمال الحرية الممنوحة لنا تبعاته، والله بريء من هذه التبعات.

كلمات ونصائح

+ كثيرة هي الصفات التي تميّز المسيحيين، لكن الأهم والأسمى منها هي المحبة والسلام. لذلك قال المسيح أيضاً: «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حبّ بعض لبعض» (يو ١٣: ٣٥)، وأيضاً «سلامي أعطيكُم» (يو ١٤: ٢٧).

+ لا شيء يستطيع أن يملأ النفس سروراً بقدر أن تحب وتحب بصدق.
+ لا شيء يظهر قيمة حاكم بقدر محبته واهتمامه بالمواطنين، هذه هي صفة الحكام الصالحين المميزة. إن أحبّ الحاكم المواطن تحلّ كل المشاكل الاجتماعية ويسود النظام في الوطن.

+ لنتألم على الذين يؤذوننا أكثر مما يتألمون هم؛ لأن الأذى الذي يحاولون أن يسبّبوه لنا ينقلب عليهم. إن أولئك الذين يرفسون الخشب المليء بالمسامير ويتباهون بعملهم جديرون بالشفقة كما أن أولئك الذين يظلمون الآخرين يستحقون شفقتنا لأنهم يجرحون أنفسهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

بالامكان الإطلاع على النشرة

أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb